الصباح الإسلامية
09
العدد 2336 - السنة الثامنة
الخميس 28 صفر 1437 - الموافق 10 ديسمبر 2015
Thursday 10 December 2015 - No.2336 - 8th Year
إعداد : ياسر السيد

لها الأثر الكبير على حياة الفرد والمجتمع فلابد أن نختار من تكون تأثيراته محمودة

الصداقة .. من منظور إسلامي

■ فن وصناعة إلا أن لها أرضية لابد من تهيئتها وهي الالتزام بالأخلاق الفاضلة

في حياة كل إنسان ، علاقات وروابط مع آخرين من بني جنسه، قد تمتن وتشتد لتتجاوز العلاقات والروابط المصلحية إلى روابط وعلاقات يتسكب في وشائجها بعض من شعاع الروح، اصطلح على تسميتها بـ(الصداقة)، والبائن لهذه العلاقات والروابط بـ (الأصدقاء).

وهنا قد يطرح سؤال، وان نعته البعض بالسذاجة، لكنه سؤال لابد من الإجابة عليه، وهو لماذا الصداقة ؟ ولماذا الأصدقاء؟ وهل من الواجب والضروري اتخاذ صديق؟.

إن خير من يجيبنا عن هذه الأسئلة والاستفسارات، الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث والروايات الواردة في هذا المضمار عن الرسول (ص) والأئمة(ع)؛ فهذا الإمام علي (ع) يوصي ابنه فيقول له: (بني! الصديق ، ثم الطريق)، فمن دون أصدقاء كيف يستطيع المرء أن يجتاز العقبات في هذه الحياة؟ وكيف ينجح إنسان لم يكوّن لنفسه بعد شبكة من العلاقات الاجتماعية تعينه في تحقيق أهدافه ؟

وهل سمعتم أن زعيماً تسلق سلالم المجد، من دون أن يكون له بطانة وأعوان؟! الواقع يؤكد لنا عدم وجود نجاح بغير صداقات ، ولن تكون صداقات بغير فن العلاقات، ولن تكون علاقات بغير حب ... (وهل الدين إلا الحب ؟) - كما في الحديث الشريف - وكيف يمكن للحب أن ينمو خارج المجتمع وبعيداً عن عباد الله؟ إذن لابد من الصداقة في حياة كل فرد منا.

ولكن ما المقصود بالصداقة؟ وما المراد بالأصدقاء؟

جاء في (لسان العرب) لابن منظور: الصداقة من الصدق ، والصدق نقيض الكذب، وبهذا تكون الصداقة هي صدق النصيحة والإخاء ، والصديق هو من صدقك، وقد عرّف أبو هلال العسكري الصداقة في كتابه (الفروق في اللغة) بأنها اتفاق الضمائر على المودة.

هكذا عرّف اللغويون العرب الصداقة في كتبهم، أما علماء النفس فقد أعطوا تعريفات أخرى لمن الصداقة، فعرفها أحد علماء النفس على أنها علاقة بين شخصين أو أكثر تتسم بالجاذبية المتبادلة المصحوبة بمشاعر وجدانية، ويضيف البعض الآخر بأنها علاقة اجتماعية وثيقة ودائمة تقوم على تماثل الاتجاهات بصفة خاصة وتحمل دلالات بالغة الأهمية تمس توافق الفرد واستقرار الجماعة.

إذن نفهم مما تقدم أن الصداقة فن وصناعة إلا أن لها أرضية لابد من تهيئتها، وهي الالتزام بالأخلاق الفاضلة، أي صداقة قائمة على الخلق الإنساني الرفيع؛ لذلك فإننا نرفض كل ما يسميه البعض (صداقة) إذا كانت تعني مجرد اتصال اجتماعي ، وتبادل خدمات ومنافع ، ولاشك أن هذا ليس من الصداقة الحقة في شيء، وإن كان في الصداقة تعاون وعطاء متبادل، ولكن الصداقة بحد ذاتها هدف مقدس، لا وسيلة تجارية رخيصة، وبما أن الصداقة فن فهذا يعني أن نستعمل الذوق والفكر والقلب والضمير معا في إقامة الصداقات وإيجاد الأصدقاء.

إن الصداقة ليست مسألة عادية بل هي من القضايا الملحة في حياة الإنسان، على أنها قضية خطيرة أيضا؛ لأن تأثير الصديق على صديقه ليس تأثيرا فجائيا ملموسا ليتعرف من خلاله بسهولة على موقع الخطأ والصواب، بل هو تأثير تدريجي، يومي، وغير ظاهر، ومن هنا فإن بعض الذين ينحرفون بسبب الصداقات، لا يشعرون بالانحراف إلا بعد فوات الأوان، وإذا أخذنا بعين الاعتبار قابلية الإنسان للتأثير والتأثر بالأجواء التي يعيشها وخاصة تأثره بالأصدقاء، وإن هذا التأثير ليس مرئيا ولا فجائيا، عرفنا حينئذ خطورة الصداقة في حياة الإنسان، والمجتمع، وضرورة الاهتمام بها من قبل الأفراد والجماعات.

إن الصداقة قضية اختيار، ولا يجوز أن تترك اختيار أصدقائك للصدفة، إذ إن الصدفة قد تكون جيدة في بعض الأحيان ولكنها لا تكون كذلك في أكثر الأحيان، ولهذا فإن على الإنسان أن يبادر إلى اختيار أصدقائه، حسب المعايير الصحيحة قبل أن تؤدي به الصدفة إلى صداقات وفق معايير خاطئة وفي هذا الصدد يشير علماء النفس إلى بعض الأمور والمعايير التي لابد وأن يأخذها الشخص بنظر الاعتبار عند بدء الصداقة، مثل التقارب العمري في معظم الحالات بين الأصدقاء، وتوافر قدر من التماثل بينهم فيما يتعلق بسمات الشخصية والقدرات العقلية والاهتمامات والقيم والظروف الاجتماعية مع مراعاة الدوام النسبي والاستقرار في الصداقة، وبما أن الصديق له الأثر الكبير على حياة الفرد والمجتمع، فلابد أن تختار من تكون تأثيراته محمودة، فالواجب أن لا نبحث عن الصديق فحسب، بل عن الصفات التي يتمتع بها، ومن أهم الصفات التي أكد الإسلام على ضرورة توفرها في الأصدقاء العلم والحكمة والعقل والزهد والخير والفضيلة والوفاء والخلق الكريم والإخلاص والأمانة والصدق.. إلخ. ويضيف علماء النفس إلى هذه الصفات السامية أيضا، الثقة بالنفس وكل ما يوحي بالقوة والاستقلال والميل إلى الحياة الاجتماعية، مع خفة الظل والانبساط والاعتناء بكل ما هو محبب، هذا بالإضافة إلى صفة الدين وهو كل ما يشير إلى الإيمان بالله وأداء الفرائض الدينية؛ وبذلك فإن الصفات التي أكد عليها الإسلام الحنيف، تتفق في معظمها مع الصفات التي أكد عليها علماء النفس، ومن هذا نستخلص، أن الصداقة في كل الأحوال لابد أن تكون قائمة على الخلق الإنساني الرفيع.

لذا على الفرد أن يكون حذرا في اختيار أصدقائه؛ يقول رسول الله(ص): (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)، كما فقد حذر القرآن الكريم من السقوط في شرك (قرناء السوء) قائلا: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) (الزخرف: 36).

إلا أن البعض قد يتخوف من هذا الأمر بشكل كبير ، فيؤثر الوحدة في الحياة على الصداقة مع الناس ، وبعض الناس على العكس من ذلك، إذ يتخذ من عملية الصداقة بحد ذاتها هواية ، فيكثر من الأصدقاء دون أي حساب، وكلا الطريقين خاطئ، فليس من الصواب أن يتخذ الإنسان أصدقاءً بلا حساب، كما ليس من الصحيح أيضاً أن يعيش الإنسان في عزلة عن الناس؛ لأن العزلة حالة مخالفة لفطرة الإنسان الاجتماعي بالطبع، وليس من مبادئ الإسلام أن يعتزل الإنسان نظراءه في الخلق، بل عليه أن يصادق الطيبين منهم، وإذا لم يوجد إلا الناس السيئون، فلا بد أن يكون معهم كإنسان من دون أن يكون معهم في مواقفهم الخاطئة

فلا وجه لاعتزال الناس، والابتعاد عن الصداقات؛ فقد أكدت الدراسات النفسية افتقار افتقاد القدر المناسب من الأصدقاء بالعديد من مظاهر اختلال الصحة النفسية والجسمية، مثل الاكتئاب والقلق والملل وانخفاض تقدم الذات والتوتر والخجل الشديد والعجز عن التصرف المناسب عندما تستدعي الظروف إلى التفاعل مع الآخرين، بالإضافة

■ الإسلام يدعو إلى التآلف مع الناس وكسبهم ومداراتهم لأن الجانب الاجتماعي في الإنسان هو الأهم

إلى ضعف مقاومة الأمراض الجسمية والتأخر في الشفاء.

إن الإسلام يدعو إلى التآلف مع الناس وكسبهم، ومداراتهم، لأن الجانب الاجتماعي في الإنسان هو الجانب الأهم الذي من أجله خلقه الله تعالى ، وقد ورد في الحديث الشريف (ود المؤمن للمؤمن من أفضل شعب الإيمان)، ويكفي لإثبات ضرورة الصداقة، أن الله العظيم قد اتخذ لنفسه خليلا، وهو النبي إبراهيم (ع) حيث يقول تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا)، ومن الملاحظ أن خطابات القرآن الكريم تأتي في صورة الجمع لا المفرد ، وفي ذلك إيماء إلى المسلم بالحياة الجماعية والابتعاد عن العزلة. إلا أن الإسلام يضع الأساس الصحيح للصداقة وهو الحب في الله؛ يقول الإمام علي(ع): (خير الأخوان من كانت مودته في الله).

غير أن بعض الناس يقول متسائلا: بماذا ينفعني الأصدقاء؟ هل ساحصل منهم على الملايين؟ والجواب هو: من قال بان الملايين هي منتهى ما يحتاجه الإنسان؟ فالأصدقاء بالإضافة إلى ما يوفرونه من لذات الحياة ومعانيها فهم سلالم المجد للإنسان أحياناً، وإن الحياة الحقيقية هي أن يعيش الإنسان مع جماعة ويشاركهم أتراحهم وأفراحهم؛ فإن أكبر عقوبة يواجهها الإنسان هي عقوبة السجن الانفرادي ، فالأصدقاء ينفعوننا في الدنيا حيث يقضون حوائجنا، ويساعدوننا في أزماتنا ومشاكلنا، أما في الآخرة فهم يشفعون لنا، فلو أن رجلا كان في الدنيا صديقا لأربعين مؤمنا، أليست شهادة هؤلاء على صلاحه تنفعه يوم القيامة، أو على الأقل تخفف عنه العذاب؟!. فالصداقة بالإضافة إلى أنها تنفع في الدنيا، فهي قضية دينية مرتبطة بالدين، ولربما يعاقب الإنسان على تركها يوم القيامة؛ فهي حاجة روحية للإنسان جعلها الإسلام بمنزلة عبادة يثاب عليها مع كل صديق بدرجته في الجنة؛ عن الإمام الرضا (ع) : (من استفاد أخا في الله ، فقد استفاد بيتا في الجنة).

وبالإضافة إلى كل ما تقدم فإن للصداقة أهمية كبيرة من الناحية النفسية للإنسان، مثل الشعور بالحب والمشاركة الوجدانية، والإفصاح عن الذات وعن بعض المشاكل والهموم، وتلقي المساعدة في الشدة، والاكتساب والتنمية، وإعداد الشخص لمواجهة المجتمع ، هذا بالإضافة إلى المرح والترفيه وإدخال السعادة والبهجة على الصديق، والمشاركة في الميول والهوايات.

وبعد كل ما تقدم، لا يبقى هناك مجال للشك، حول أهمية وضرورة الصداقة في حياة كل فرد في المجتمع، والتي أكد عليها الإسلام واعتبرها قضية مقدسة؛ فلا توجد بعد العبادات والإيمان، أفضل من اكتساب أخ مؤمن وصديق صالح، كما يقول الحديث الشريف: (لا يقدم المؤمن على الله بعمل يوم القيامة - بعد الفرائض - أحب إلى الله من أن يسع الناس بخلقه). فالصداقة تغذي الأخلاق، وتستثمر المبادئ، والأصدقاء كنوز، يجب البحث عنهم، وتحمل التعب من أجل اكتشافهم، حتى لا يختلط علينا الحجر والجوهر، فنتنقي الأحجار ظنا منا أنها الجواهر.

ملامح من غزوة .. حنين

خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى حنين يوم السبت، لثلاث خلون من شوال، سنة ثمان من الهجرة، ووصل إليها مساء ليلة الثلاثاء، لعشر ليال خلون من شوال.

بسبب الغزوة :

لما فتح الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله) مكة ، أطاعته قبائل العرب إلا هوازن وثقيفاً ، فإنهم كانوا طغاة عتاة مردة ، فلما سمعت هوازن بفتح مكة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، جمعها رئيسها مالك بن عوف النصري ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وكانوا اجتمعوا حين بلغهم خروجه (صلى الله عليه وآله) من المدينة ، فظنوا أنه إنما يريدهم ، فلما بلغهم أنه أتى مكة عمدوا لحربه بعد مقامه بمكة نصف شهر

فجاءوا حتى نزلوا بحنين ، وحطّ مالك معهم النساء والصبيان والأموال ، وفي ثقيف رئيسان لهم : قارب بن الأسود ، وذو الخمار سبيع بن الحارث ، وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كبير أعمى ، ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ، ومعرفته بالحرب وتجربته ، وهو على هودج له يقاد به ، فلمّا نزل بأوطاس - وهو مكان بقرب حنين - قال : بأيّ واد أنتم

قالوا : بأوطاس ، قال : ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاة ، وخوار البقر ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فقال دريد لمالك : لم فعلت هذا ؟ قال : سقتُ مع الناس أموالهم ونسائهم وأبناءهم ليجعل كل رجل أهله وماله وراء ظهره فيكون أشد لحربه

وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما أجمعت عليه هوازن من حربه ، فتهيأ لقتالهم .

عدد الجيش :

خرج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) اثنا عشر ألفاً ، عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح بهم مكة ، وألفان من مسلمة الفتح ، وخرج جيش العدو بثلاثين ألفاً ، قال جابر بن عبد الله الأنصاري : لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة ، أجوف حطوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، وذلك في عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إليه ، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه ، فما راعنا ونحن منحطون ، إلا الكتائب قد شدّوا علينا شدّة رجل واحد ، وانهزم الناس فانشمروا لا يلوي أحد على أحد ، وانحاز رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات اليمين

ثمّ قال : ((أيها الناس هلمّوا إليّ أنا رسول الله محمّد بن عبد الله ، فلا يأتيه أحد)) .

وقال (صلى الله عليه وآله) للعباس - وكان صيّتاً جهوري الصوت : ((ناد القوم وذكّرهم العهد)) ، فنادى بأعلى صوته : يا أهل بيعة الشجرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، إلى أين تفرّون ؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وقد وصلت الهزيمة إلى مكّة ، وسرّ بذلك قوم من مكّة ، واظهروا الشماتة ، وقال قائل منهم : ترجع العرب إلى دين آبائها .

الذين ثبتوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله) إن الذين ثبتوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حنين ، بعد هزيمة الناس هم : علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب ، وأيمن بن عبيد - وهو ابن أمّ أيمن مولاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحاضنته ، وقد قتل يوم حنين

وقال العباس بن عبد المطلب في ذلك :

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرّ من قد فرّ منهم وأقشعوا

وقولي إذا ما الفضل شدّ بسيفه على القوم أخرى يا بني ليرجعوا

دعاء الرزق

-يا مقيل العثرات، يا قاضي الحاجات اقضي حاجتي، وفرج كربتي، وارزقني من حيث لا أحتسب -اللهم سخر لي رزقي، واعصمني من الحرص والتعب في طلبه، ومن شغل الهم، ومن الذل للخلق، اللهم يسر لي رزقا حلالا، وعجل لي به يا نعم المجيب -اللهم يا باسط اليدين بالعطايا، سبحان من قسم الأرزاق ولم ينس أحدا، اجعل يدي عليا بالإعطاء ولا تجعل يدي سفلى بالاستعطاء إنك على كل شيء قدير

-اللهم إكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والكسل والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال. اللهم ارزقني رزقا لا تجعل لأحد فيه منه ولا في الآخرة عليه تبعة برحمتك يا أرحم الراحمين -. -اللهم إن كان رزقي في السماء فانزله وإن كان في بطن الأرض فاخرجه وإن كان بعيدا فقربه وإن كان عسيرا فيسره وإن كان قليلا فاكثره وبارك فيه برحمتك يا أرحم الراحمين .